



كقوله: «يا أمي»، «يا אחتي» ونحوه، لأن ذلك يشبه المحرم.

ومنها: أن الكفارة إنما تجب بالعود لما قال المظاهر، على اختلاف القولين السابقين، لا بمجرد الظهار.

ومنها: أنه يجزئ في كفارة الرقبة، الصغير والكبير، والذكر والأنثى، لإطلاق الآية في ذلك.

ومنها: أنه يجب إخراجها إن (٢) كانت عتقاً أو صياماً قبل المسيس، كما فیه الله، بخلاف كفارة الإطعام، فإنه يجوز المسيس والوطء في أثنائها.

ومنها: أنه لعل الحكمة في وجوب الكفارة قبل المسيس، أن ذلك أدمى لإخراجها، فإنه إذا اشتاق إلى الجماع، وعلم أنه لا يمكن من ذلك إلا بعد الكفارة، بادر لإخراجها.

ومنها: أنه لا بد من إطعام ستين مسكيناً، فلو جمع طعام ستين مسكيناً، ودفعها لواحد أو أكثر من ذلك، دون الستين لم يجز ذلك، لأن الله قال: ﴿فإطعام ستين مسكيناً﴾.

﴿٥٥﴾ «إن الذين يحادون الله ورسوله كذبوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بيّنات وللکافرین عذاب مهین» معادة الله ورسوله: مخالفتها ومعصيتهما خصوصاً في الأمور الفظيعة، كمحادة الله ورسوله بالكفر، ومعادة أولياء الله.

وقوله: «كذبوا كما كبت الذين من قبلهم» أي: أذلوا وأهينوا كما فعل بمن قبلهم، جزاء وفاقاً.

وليس لهم حجة على الله، فإن الله قد قامت حجة البالغة على الخلق، وقد أنزل من الآيات البيّنات والبراهين ما يبين الحقائق ويوضح المقاصد، فمن اتبعها وعمل عليها، فهو من المهتدين الفائزين، وللکافرین «بها» عذاب مهین» أي: يسيئهم ويذلهم، كما تكبروا عن آيات الله، أهانهم وأذلهم.

﴿٦٧-٦٨﴾ «يوم يبعثهم الله جميعاً

فينبئهم بما علموا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد * ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم» يقول الله تعالى: يوم يبعث الله الخلق جميعاً فيقومون من أجدانهم سريعاً فيجازيهم بأعمالهم فينبئهم بما عملوا من خير وشر، لأنه علم ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ، وأمر الملائكة الكرام الحفظة بكتابته، هذا هو العاملون قد نسوا ما عملوه، والله أحصى ذلك.

﴿٦٩﴾ «والله على كل شيء شهيد» بالظواهر (٣) والسرائر، والخبائيا والخبائيا، ولهذا أخبر عن سعة علمه وإحاطته بما في السماوات والأرض من دقيق وجليل.

وأنه «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا» والمراد بهذه المعية معية العلم والإحاطة بما تناجوا به وأسرره فيما بينهم، ولهذا قال: «إن الله بكل شيء عليم» ثم قال تعالى:

﴿٨٠-٩٠﴾ «ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبيهم جهنم يصلونها فبئس المصير * يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون» النجوى هي التناجى بين اثنين فأكثر، وقد تكون في الخير، وتكون في الشر.

فأمر تعالى المؤمنين أن يتناجوا بالبر، وهو اسم جامع لكل خير وطاعة،

الوقوف فيها، فيجب أن لا تتعدى ولا يقصر عنها.

﴿وللکافرین عذاب ألم﴾.

وفي هذه الآيات عدة أحكام:

منها: لطف الله بعباده واعتناؤه بهم، حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة، وأزالها ورفع عنها البلوى، بل رفع البلوى بحكمه العام لكل من ابتلي بمثل هذه القضية.

ومنها: أن الظهار يختص بتحريم الزوجة، لأن الله قال: «من نسأهم» فلو حرم أمته، لم يكن [ذلك] ظهاراً، بل هو من جنس تحريم الطعام والشراب، تجب فيه كفارة اليمين فقط.

ومنها: أنه لا يصح الظهار من امرأة قبل أن يتزوجها، لأنها لا تدخل في نساته وقت الظهار، كما لا يصح طلاقها، سواء تجز ذلك أو علقه.

ومنها: أن الظهار محرم، لأن الله سماه منكراً [من القول] وزوراً.

ومنها: تنبيه الله على وجه الحكم وحكمته، لأن الله تعالى قال: «ما هن أمهاتهم».

ومنها: أنه يكره للرجل أن يتنادى زوجته ويسميتها (١) باسم محارمه،

(٣) في ب: على الظواهر.

(٢) في ب: إذا.

(١) في ب: ويدعوها.



﴿فانشزوا﴾ أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة، فإن القيام يمثل هذه الأمور من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات، بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان.

﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وفي هذه الآية فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه.

﴿١٢ - ١٣﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأظهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم﴾ أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلا وثاب الله عليكم فأتيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما

النجوى ﴿أي: تناجي أعداء المؤمنين بالمؤمنين، بالكر والخديعة، وطلب السوء من الشيطان، الذي كيده ضعيف ومكره غير مفيد.

﴿ليحزن الذين آمنوا﴾ هذا المكر ومقصوده، ﴿وليس يضارهم شيئاً إلا بإذن الله﴾ فإن الله تعالى وعد المؤمنين بالكفاية والنصر على الأعداء، وقال تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيء

إلا بأهله﴾ فأعداء الله ورسوله والمؤمنين، مهما تناجوا ومكروا، فإن ضرر ذلك^(٤) عائد إلى أنفسهم، ولا يضر المؤمنين إلا شيء قدره الله وقضاه، ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي: ليعتمدوا^(٥) عليه ويتقوا بوعده، فإن من توكل على الله كفاه، وتولى أمر دينه ودينه^(٦).

﴿١١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ هذا تأديب^(٧) من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفصح له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً لهذا المقصود.

وليس ذلك بضر للجالس^(٨) شيئاً، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح الله له، ومن وسع لأخيه وسع الله عليه.

﴿وإذا قيل انشزوا﴾ أي: ارتفعوا وتحنوا عن مجالسكم لحاجة تعرض،

وقيام بحق الله ولعباده^(٩)، والتقوى، وهي [هنا]: اسم جامع لترك جميع المحارم والمآثم، فالؤمن يمثل هذا الأمر الإلهي، فلا تجده مناجياً ومتحدثاً إلا بما يقربه من الله، ويباعده من سخطه، والفاجر يتهاون بأمر الله، ويتناجى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، كالمناققين الذين هذا دأبهم وحالهم مع الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله﴾ أي: يستئون الأدب معك في تحيتهم لك، ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ أي: يسرون في أنفسهم^(١٠) ما ذكره عالم الغيب والشهادة عنهم، وهو قولهم: ﴿لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ ومعنى ذلك أنهم يتهاونون بذلك، ويستدلون بعدم تعجيل العقوبة عليهم، أن ما يقولون غير محذور، قال تعالى في بيان أنه يمهل ولا يهمل: ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ أي: تكفيهم جهنم التي جمعت كل شقاء وعذاب [عليهم]، تحبط بهم، ويعذبون بها ﴿فبئس المصير﴾ وهؤلاء المذكورون إما أناس من المنافقين يظهرون الإيمان، ويخاطبون الرسول ﷺ بهذا الخطاب الذي يوهمون أنهم أرادوا به خيراً^(١١)، وهم كذبة في ذلك، وإما أناس من أهل الكتاب، الذين إذا سلموا على النبي ﷺ، قالوا: «السلام عليك يا محمد» يعنون بذلك الموت.

﴿١٠﴾ ﴿إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ يقول تعالى: ﴿إنما

(١) في ب: بحق الله وحق عباده.

(٢) في ب: يسرون فيها.

(٣) كذا في ب، وفي أ: والخطاب للرسول ﷺ الذي يوهمون به أنهم أرادوا خيراً.

(٤) كذا في ب، وفي أ: فإن ضررهم.

(٥) كذا في ب، وفي أ: يعتمدوا.

(٦) في ب: وكفاه أمر دينه ودينه.

(٧) في ب: هذا أدب.

(٨) في ب: للفساح.

استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴿ تجبر تعانى عن شناعة حال المنافقين الذين يتولون الكافرين، من اليهود والنصارى وغيرهم ممن غضب الله عليهم، ونالوا من لعنة الله أوفى نصيب، وأنهم ليسوا من المؤمنين ولا من الكافرين، ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾.

فليسوا مؤمنين ظاهراً وباطناً لأن باطنهم مع الكفار، ولا مع الكفار ظاهراً وباطناً، لأن ظاهرهم مع المؤمنين، وهذا وصفهم الذي نعتهم الله به، والحال أنهم يحلفون على ضده الذي هو الكذب، فيحلفون أنهم مؤمنون، وهم يعلمون^(٢) أنهم ليسوا مؤمنين، فجزاء هؤلاء الخونة الفجرة الكذبة، أن الله أعد لهم عذاباً شديداً، لا يقادر قدره، ولا يعلم وصفه، إنهم ساء ما كانوا يعملون، حيث عملوا بما يسخط الله^(٣)، ويوجب عليهم العقوبة واللعنة، ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ أي: ترسأ ووقاية، يتقون بها من لوم الله ورسوله والمؤمنين، فبسبب ذلك صدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، وهي الصراط الذي من سلكه أفضى به إلى جنات النعيم، ومن صد عنه فليس إلا الصراط الموصل إلى الجحيم، ﴿فلهم عذاب مهين﴾ حيث استكبروا عن الإيمان بالله والانقياد لأياته، أهانهم بالعذاب السرمدي، الذي لا يُبْتَر عنهم ساعة ولا هم يُنظرون، ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ فلا تدفع^(٤) عنهم شيئاً من العذاب، ولا تحصل لهم قسطاً من الثواب، ﴿أولئك أصحاب النار﴾ الملازمون لها، الذين لا يخرجون عنها، و ﴿هم فيها خالدون﴾ ومن عاش على شيء مات عليه، فكما أن المنافقين في الدنيا يموهون على

الأدب مع الرسول والإكرام له، وأمرهم تعالى أن يقوموا بالمأمورات الكبار المقصودة بنفسها، فقال: ﴿فأذ لم تفعلوا﴾ أي: لم يهن عليكم تقديم الصدقة، ولا يكفي هذا، فإنه ليس من شرط الأمر أن يكون هيناً على العبد، ولهذا قيده بقوله: ﴿وتاب الله عليكم﴾ أي: عفا لكم عن ذلك، ﴿فأقيموا الصلاة﴾ بأركانها وشروطها، وجميع حدودها ولوازمها، ﴿وآتوا الزكاة﴾ المفروضة [في أموالكم] إلى مستحقيها.

وهاتان العبادتان هما أم العبادات البدنية والمالية، فمن قام بهما على الوجه الشرعي، فقد قام بحقوق الله وحقوق عباده، [ولهذا قال بعده: ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ وهذا أشمل ما يكون من الأوامر.

ويدخل في ذلك طاعة الله [وطاعة] رسوله بامتثال أوامرها واجتناب نواهيها، وتصديق ما أخبرا به، والوقوف عند حدود الله^(١).

والعبارة في ذلك على الإخلاص والإحسان، ولهذا قال: ﴿والله خبير بما تعملون﴾ فيعلم تعالى أعمالهم، وعلى أي: وجه صدرت، فيجازيهم على حسب علمه بما في صدورهم.

﴿١٤-١٩﴾ ﴿لم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾ * أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون * اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين * لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء إلا إنهم هم الكاذبون *

(٢) كذا في ب، وفي أ: يَسْخَطُهُ.

(٤) في ب: أي لا تدفع.

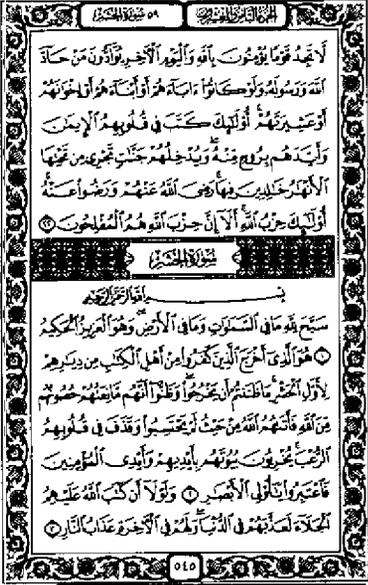


تعملون ﴿ يأمر تعالى المؤمنين بالصدقة، أمام مناجاة رسوله محمد ﷺ تأديباً لهم وتعليماً، وتعظيماً للرسول ﷺ، فإن هذا التعظيم خير للمؤمنين وأظهر أي: بذلك يكثر خيركم وأجركم، وتحصل لكم الطهارة من الأدناس، التي من جملتها ترك احترام الرسول ﷺ والأدب معه بكثرة المناجاة التي لا ثمرة تحتها، فإنه إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزاناً لمن كان حريصاً على الخير والعلم، فلا يباي بالصدقة، ومن لم يكن له حرص ولا رغبة في الخير، وإنما مقصوده بمجرد كثرة الكلام، فيتكف بذلك عن الذي يشق على الرسول، هذا في الواجد للصدقة، وأما الذي لا يجد الصدقة، فإن الله لم يضيّق عليه الأمر، بل عفا عنه وسامحه، وأباح له المناجاة بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها.

ثم لما رأى تبارك وتعالى شفقة المؤمنين ومشقة الصدقات عليهم عند كل مناجاة، سهل الأمر عليهم، ولم يؤاخذهم بترك الصدقة بين يدي المناجاة، وبقي التعظيم للرسول والاحترام بحاله لم ينسخ، لأن هذا الحكم من باب المشروع لغيره، ليس مقصوداً لنفسه، وإنما المقصود هو

(١) في ب: حدود الشرع.

(٢) في ب: والحال.



تفسير سورة الحشر [وهي] مدنية

﴿١-٧﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴿١﴾ إلى آخر القصة .

هذه السورة تسمى «سورة بني النضير» وهم طائفة كبيرة من اليهود في جانب المدينة، وقت بعثة النبي ﷺ، فلما بعث النبي ﷺ، وهاجر إلى المدينة، كفروا به في جملة من كفر من اليهود، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هادن سائر طوائف اليهود الذين هم جيرانه في المدينة، فلما كان بعد [وقعة] بدر بستة أشهر أو نحوها، خرج إليهم النبي ﷺ، وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نفعنا يا أبا القاسم، اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك، فخلا بعضهم ببعض،

(٣) في ب: لمن تبد.

عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴿١﴾ يقول تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: لا يجتمع هذا وكفرهم ونفاقهم وعتابهم الباطلة، لم تنزل ترسخ في أذهانهم شيئاً فشيئاً، حتى غرتهم وظنوا أنهم على شيء يعتقد به، ويعلق عليه الشواب، وهم كاذبون في ذلك، ومن المعلوم أن الكذب لا يروج على عالم الغيب والشهادة، وهذا الذي جرى عليهم من استحواذ الشيطان الذي استولى عليهم، وزين لهم أعمالهم، وأنساهم ذكر الله، وهو العدو المبين، الذي لا يريد بهم إلا الشر، ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ .

وهذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه وثبته وغرسه غرساً، لا يتزلزل ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك .

وهم الذين قواهم الله بروح منه أي: بوحيه ومعونته، ومدده الإلهي وإحسانه الرباني .

وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنات النعيم في دار القرار، التي فيها من كل ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين وتختار، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً، ويرضون عن ربه بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ووافر المثوبات، وجزيل الهبات، ورفيع الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا فوقه نهاية^(٢) .

وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو مسع ذلك مُؤَادٌ لأعداء الله، محب لمن ترك الإيمان^(٣) وراء ظهره، فإن هذا إيمان زُعِيٌّ لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى لا تفيد شيئاً ولا يصدق صاحبها .

تم تفسير قد سمع الله،
بحمد الله وعونه وتسديده،
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله
على محمد وسلم تسليماً

(٢) في ب: ولا وراءه .

المؤمنين، ويحلفون لهم أنهم مؤمنون، فإذا كان يوم القيامة ويبحثهم الله جميعاً، حلفوا لله كما حلفوا للمؤمنين، ويجسبون في حلفهم هذا أنهم على شيء، لأن كفرهم ونفاقهم وعتابهم الباطلة، لم تنزل ترسخ في أذهانهم شيئاً فشيئاً، حتى غرتهم وظنوا أنهم على شيء يعتقد به، ويعلق عليه الشواب، وهم كاذبون في ذلك، ومن المعلوم أن الكذب لا يروج على عالم الغيب والشهادة، وهذا الذي جرى عليهم من استحواذ الشيطان الذي استولى عليهم، وزين لهم أعمالهم، وأنساهم ذكر الله، وهو العدو المبين، الذي لا يريد بهم إلا الشر، ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ .

﴿أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ الذين خسروا دينهم وديارهم وأنفسهم وأهلهم .

﴿٢٠-٢١﴾ ﴿إِنَّ السَّيِّئِينَ يُمَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ فِي الْأَذْيَانِ﴾ * كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ﴿٢٠﴾ هذا وعد ووعد، وعيد لمن حادَّ الله ورسوله بالكفر والمعاصي، أنه مخذول منذول، لا عاقبة له حميدة، ولا راية له منصوره .

ووعد لمن آمن به وبرسله، واتبع ما جاء به المرسلون، فصار من حزب الله المفلحين، أن لهم الفتح والنصر والغلبة في الدنيا والآخرة، وهذا وعد لا يخلف ولا يُغَيَّرُ، فإنه من الصادق القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء يريده .

﴿٢٢﴾ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

(١) في ب: إيمانه .